

الدرس الثاني والثلاثون

هبة الصلوة في الامر بالمعروف

والنهي عن المنكر

أخرج البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يخرج يوم انفطر والأضحى إلى المصلى فأول شيء يبدأ به الصلاة ثم ينصرف فيقوم مقابل الناس والناس جلوس على صفوفهم فيعظهم ويوصيهم ويأمرهم فإن كان يريد أن يقطع بمتأ قطعه ، أو يأمر بشيء أمر به ، ثم ينصرف ، قال أبو سعيد : فلم يزل الناس على ذلك حتى خرجت مع مروان وهو أمير المدينة في أضحى أو فطر ، فلما اتينا المصلى إذ انبر بناه كثيرين الصلت فإذا مروان يريد أن يرتقيه قبل أن يصلي فجذبت بثوبه فجذبتني فارتفع فخطب قبل الصلاة ، فقلت له : غيرتم والله فقال : يا أبا سعيد قد ذهب ما تعلم ، فقلت : ما علم والله خير مما لا أعلم ، فقال إن الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة فجعلتها قبل الصلاة .

الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الركن الاعظم والقطب الاكبر في الدين ، وهو مهمة الانبياء والمرسلين ، فيه بعثوا من عند الله ولاجله جاؤا فبشروا وأنذروا وخوفوا وحذروا ، وقاموا بدعوتهم خير قيام فأدوا الرسالة على وجهها الاكمل وطريقها الحق . وجاء العلماء من بعدهم يدعون الخلق الى ما دعى اليه الانبياء من التعاليم الحقة ، والاخلاق الكريمة ، والآداب السامية امتثالاً لامر الله بقوله :

(ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) وقال تعالى : يصف المؤمنين والمؤمنات بأنهم آملون بالمعروف ناهون عن المنكر بقوله : (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة) وقال سبحانه يصف هذه الامة : (كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) وقد نهي الله على اقوام اهلوا هذا الواجب الكبير والامر الخطير فاستحقوا الطرد واللعن والمقت والغضب ، فقال تعالى : (لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يستبدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) وهذا غاية في الزجر والتخويف ، والوعيد والتهديد لمن اهلوا هذا الركن إذ علل سبحانه وتعالى استحقاقهم للعة بتركهم النهي عن المنكر ، وقال تعالى : (لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً) وأمر الله بالتعاون على البر والتقوى ، ومن التعاون الامر بالمعروف فقال تعالى : (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) وقال تعالى : يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم أو الوالدين والاقربين) ومن الاحاديث والايثار ما روي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما من قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدر أن ينكر عليهم فلم يفعل إلا يوشك أن يعذبهم الله بعذاب من عنده . وأخرج احمد وغيره من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص (إذا رأيت أمتي تهاب الظالم أن تقول له : انك ظالم فقد تودع منهم . واقد كان السلف الصالح ، والصحابة الكرام لهم مواقف عظيمة ، ونوادير طريفة . وقصص غريبة ، وحكايات عجيبة ، دالة على صدق إيمانهم ، وقوه يقينهم وشدة ورعهم ، فكانوا لا يخشون في الله لومة لائم أو كلمة مداهن ، أو فرية مفتر ، أو قوة ظالم ، بل يجاهرون بالحق ، وينطقون بالصدق ، ويأمرون بالمعروف وينهون

عن المنكر في أشد المواقف وأحرجها . واليك ما كان من موقف الصحابي الجريء
أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مع مروان بن الحكم أمير المدينة من قبل معاوية
بن أبي سفيان .

من السنة لأتورة ، والطريقة المعروفة من فعله ﷺ إذا خرج (يوم الفطر
والأضحى الى المصلى فأول شيء يبدأ به الصلاة ثم ينصرف فيقوم مقابل الناس
والناس جلوس على صفوفهم فيعظهم ويوصيهم ويأمرهم) بحلال الله وبنهاهم عن
حرامه (ثم ينصرف قال أبو سعيد فلم يزل الناس على ذلك حتى خرجت مع مروان
وهو أمير المدينة في أضحي أو فطر فلما أتينا المصلى إذا منبر بناه كثير بن الصلت)
التابعي الكبير والمولود في الزمن النبوي (فاذا مروان يريد أن يرتقيه قبل أن
يصلي) وفيه مخالفة للسنة الصحيحة والعمل المأثور عن النبي ﷺ (فجذبت
بشوبه) ليبدأ بالصلاة قبل الخطبة (فجذبي فارتفع) على المنبر (فخطب قبل الصلاة
فقلت له) ولاصحابه (غيرتم والله) أي سنة رسول الله ﷺ وخلفائه من بعده
فانهم كانوا يقدمون الصلاة على الخطبة (فقال) مروان (يا أبا سعيد قد ذهب
ما تعلم) من تقديم الصلاة على الخطبة في الميدان (فقلت ما اعلم والله خير مما اعلم)
لان الذي أعلمه طريق رسول الله ﷺ الذي أمرنا باتباعه والتأسي به (لقد كان
لكم في رسول الله أسوة حسنة) (فقال) مروان معتذراً عن ترك السنة (إن
الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة فجعلتها قبل الصلاة) .

فتأمل الى هذا الموقف المشرف الذي رفته أبو سعيد الخدري رضي الله عنه ،
وكيف جذب مروان بشوبه وقال له : (غيرتم والله) ولم يخف صولة الامارة
وجاه الحكم ، وجاهر بالحق وأنكر البدعة وامر بالسنة على رؤوس الاشهاد من
الناس . فحفظه الله ونصره ، وأيده وأعزه (ولينصرن الله من نصره) . ثم
مرت حقبة من الدهر ، وفترة من الزمن ، فاندرس هذا الواجب ، وعفت آثاره

وانعجت معاملته وانطوت أخباره ، وداهن الناس بعضهم بعضاً ، وجبن العلماء عن الوعظ والارشاد ، وتبين الحق للعباد ، إلا من عصم ربك .
ولو طوي بساط هذا الواجب ، وأهمل العمل به عمت الفوضى ، وفشت الضلالة ، وشاعت الجهالة ، وانتشر الفساد ، وأسرع الهلاك للعباد ، وعظم الوقع ، وجل الخطب ، وأوشك أن يعمهم الله بمذاب من عنده على حد الآية الكريمة (فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم) . وينبغي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يكون ذلك برفق ولين ليكون أثمر لعملة وأقرب لتحصيل المقصود على حد الآية (أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) وقال الامام الشافعي رضي الله عنه : من وعظه أخوه سرّاً فقد نصحه وزانه ، ومن وعظه علانية فقد فضحه وعابه . وفي ذلك أنشد عليه الرحمة .

تعمدني بنصحك في انفرادي	وجنبي النصيحة في الجماعه
فان النصح بين الناس نوع	من التوبيخ لا أرضى استماعه
فان خالفتي وعصيت رأبي	فلا تجزع إذا لم تعط طاعه

والأمر بالمعروف على قسمين واجب ومندوب ، فالأمر بالواجب واجب إن تركه أو قصر فيه أثم ، وبالمندوب مندوب . والمنكر محرم ومكروه . وكله قبيح ينهى عنه صاحب الورع والدين ، امتثالاً لأمر رب العالمين ، ولا يتركه خشية أن لا يقبل منه في ظنه ، بل يجب عليه فعله تذكراً وعظة لآخوانه المؤمنين على حد الآية (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين) فعليه أن يأمر وينهى ولم يكلف بتأثير قوله في نفس المأمور وقبوله (وما على الرسول الا البلاغ المبين) وقد بين النبي ﷺ مراتب النهي عن المنكر في حديث مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من رأى منكم منكراً فليغيره

بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقليه وذلك أضعف الإيمان .
وليس الأمر والنهي مختصاً بأصحاب الولاية والشوكة ، والعلماء والوعاظ بل
ذلك ثابت في حق عامة المسلمين ، وانما يأمر وينهى من كان عالماً بما يأمر
به وينهى عنه ، وهو من فروض الكفايات اذا قام به البعض سقط الطلب
عن الباقيين ، واذا تركه الجميع أثموا ، وقد يسقط الأمر والنهي فيما اذا خشي
على نفسه الضرب والقتل ، أو الإهانة والتعزير ، أو حدوث فتنة ومفسدة من
جاء قوله ، فهو عند ذلك في فسحة منه وسعة .



الدرس الثالث والثلاثون

الأمر بالتقوى واتباع السيئة الحسنة وحسن الخلق

عن أبي ذر الغفاري ، ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال:
إتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن . رواه
الترمذي وقال حديث حسن وفي بعض النسخ حسن صحيح .

* * *

هذا الحديث خاطب به سيدنا رسول الله ﷺ الصحابي الجليل ابا ذر جندب
بن جنادة الغفاري احد السابقين في الاسلام ، وتلبية دعوة النبي عليه السلام ، لما
اسلم والنبي ﷺ بمكة ورأى من حرصه على المقام معه ، وعلم انه لا يقدر على ذلك
قال له هذه المقالة :

واشتملت وصية السيد الحكيم ﷺ في هذا الحديث لأبي ذر على امور ثلاثة.
الأمر بالتقوى ، واتباع السيئة الحسنة ، وحسن الخلق مع الناس .

١ - الأمر بالتقوى : والتقوى كلمة جامعة للفضائل والكمالات ، مانعة من
النقائص والرزالات . وبعبارة أخرى هي امتثال الأمر واجتناب النهي ، والوقوف
عند الحد الشرعي الذي حده الله ورسوله ، وجاءت الآيات الشريفة مرغبة بها ،
حائثة عليها فمن الآيات قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) وقوله :
(اتقوا الله ما استطعتم) وقد رتب خير الجزاء على التقوى حيث قال : (ومن يتق
الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) وقال : (ومن يتق الله يجعل له
من أمره يسرا) وقال : (ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا) وأمر
سبحانه بالتزود للدار الآخرة فقال : (وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون

يا اولي الاباب) وغير ذلك من الآيات الكثيرة الدالة على عظيم فضلها ، وجيل قدرها ، ولذا اوصى بها النبي ﷺ ابا ذر بقوله يا ابا ذر : (إتق الله حيثما كنت) أي بأي زمان وجدت ، وأي مكان اقم ، فان التقوى لا تتقيد بزمان ولا تنحصر بمكان ، وإنما هي عبادة وإخلاص للرحمن ، وكف عن محارمه ومكافحة لهوى النفس والشيطان . وموضعها القلب من كل إنسان على حد قوله عليه السلام في حديث ابي هريرة عند مسلم (التقوى ههنا ويشير الى صدره ثلاث مرات) فليست التقوى أعمالاً ومظاهر فحسب بل عمادها خشية الله ومراقبته ومحل ذلك القلب ، وكما أثر عنه عليه السلام في الرواية الاخرى قوله : (إن الله لا ينظر الى اجسادكم ولا الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم) فليجتهد المرء في تحسين موضع نظر الله منه ليكون نقياً طاهراً خالصاً من الغل والحقد ، واللؤم والحسد وسائر الآفات النفسية ، والامراض الخلقية فلعل الله ينظر له نظر قبول ورحمة ، وعطف واحسان . واليك بعض ما كتبه خليفة المسلمين ، وامير المؤمنين عمر بن الخطاب الى امير جيشه سعد بن ابي وقاص رضي الله عنها يحضه فيه على تقوى الله ويحذره المعاصي فقال : (فاني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال ، فان تقوى الله أفضل المدة على العدو ، واقوى المكيذة في الحرب ، وأمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصي منكم من عدوكم فان ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله .

فتأمل ما كتبه خليفة المسلمين الى قائد جيشه يأمره بالتقوى ويحذره المعاصي بأشد المواقف وأحرجها عند مقابلة المسلمين لجيش العدو من الكفرة الماندين لعله أن تقوى الله أفضل المدة والذخيرة ، واقوى عامل لنصرة المسلمين على أعدائهم ، والغلبة عليهم ، والظفر بهم .

٢ - إتباع السيئة الحسنة : ومما أمر به النبي ﷺ ابا ذر قوله : (وأتبع السيئة الحسنة تمحها) فكأنه عليه السلام يقول له : يا ابا ذر امرتك بالتقوى المشتملة على

امتثال أمر الله ، والابتعاد عن محارمه ، وحيث ان المرء لا يامن على نفسه من الزلل والخطأ فاذا ما وقعت منك زلة او خطيئة فأتبها بالحسنة فهي ماحية لها مخلص لك من شرها وإعما ، نظير قوله سبحانه : (إن الحسنات يذهبن السيئات) أو من أسماء اليك فقابله بالاحسان على حد قوله تعالى : (ولا تستوي الحسنة ولا السيئة إُدفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) وهذا من أكرم اخلاق المرء وأجل اوصافه .

٣ - حسن الخلق : وأشار اليه النبي ﷺ بقوله : (وخالق الناس بخلق حسن) فالخلق الحسن في الافراد والجماعات ، والشعوب والأمم ، هو أس الفضائل ، وينبوع المكارم وعين الكمال . وفي حديث مسلم عنه عليه السلام قال : البر حسن الخلق . أي إن خير خصال البر وأعظمها حسن الخلق نظير قوله عليه السلام الحج عرفة . وناهيك أن الله سبحانه امتدح نبيه محمداً ﷺ به لبيان فضله ، وعلو منزلته وشرفه فقال عز من قائل : (وإنك لعلى خلق عظيم) . والنبي ﷺ يذكر مهمته التي لأجلها بعث ، وبها جاء من عند الله تعالى فيقول : إنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق . وقال تعالى : (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً) الى آخر ما جاء في هذه الآية وما شاكلها من الآيات . ولنا الأسوة الحسنة في قوله وفعله ﷺ . فمن ذلك حلمه على كفار قريش ، وقد أغروا به سفاهم ، وقذفوه بالحجارة ، وواجهوه بالايذاء ، وكسروا رباعيته ، وشجوا رأسه ، وخضبوا وجهه الشريف بالدم ، فلم يكن من حلمه وكإل خلقه وعظيم شانه إلا أن قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون .

ويوم فتح مكة عند ما أسر رجالات قريش وزعماءهم وأصبحوا في قبضته ، وتحت حوزته ، فقال لهم عليه السلام مخاطباً : يا معشر قريش ما نظنون أني فاعل بكم ؟ قالوا خيراً أخ كريم ، وابن أخ كريم فقال عليه السلام : اذهبوا فأنتم الطلقاء .

فلم يفتّر بعمزة النصر وقوة الظفر ، والناس حوله ينظرون ما عساه أن يفعل بهم
وم الذين آذوه وأخرجوه من بلده وقتلوه ، ففي هذا الموقف المشرف وغيره من
المواقف التاريخية ، ظهرت مكارم أخلاقه ﷺ وأعطى درساً عالياً لمن يأتي بعده
من الفاتحين ، وأتباعه المسلمين ؛ أن يكون رضام لله ، وغضبه لهم ، لا لهوى
النفس وحب الانتقام ومطاعة الشيطان ، والعلو في الأرض على خلق الرحمن .

ومن حسن خلقه ﷺ احتماله الأذى والمكروه في حين أنه قادر أن ينتقم
لنفسه فقد ورد في الصحيحين أن أعرابياً جذب بردي النبي ﷺ حتى أثرت حاشيته
في عاتق النبي ﷺ ، وقال يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك : فالتفت إليه رسول
الله ﷺ ثم ضحك وأمره به مطاء . وما رواه الشيخان أيضاً عن أبي هريرة أن
رجلاً أتى النبي ﷺ يتقاضاه فأغلظ ، فهم به أصحابه فقال رسول الله ﷺ : دعوه فإن
لصاحب الحق مقالا . ثم قال : أعطوه سنأ مثل سنه قالوا يا رسول الله : لا نجد الا
أمثل من سنه فقال : أعطوه فإن خيركم أحسنكم قضاء . ولذا رغب النبي ﷺ في
حسن الخلق وبالغ فيه . روى الترمذي من حديث جابر أن النبي ﷺ قال : إن
من أحبكم الي ، وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً . وعن أبي هريرة
عن النبي عليه السلام قال : إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ، ولكن يسعهم منكم
بسط الوجه وحسن الخلق .

وحسن الخلق هو إنصاف للمرء من نفسه ، وعدل في أحكامه ، ولين في
معاشرته ، ورفق في معاملته ، وإحسان لمن أساء اليك على نحو ما تقدم . فاحرص
رحمك الله على حسن الأخلاق والتجمل بها ودع عنك سفاسفها فهو أبقى لذكرك ،
وأسلم لأمرك ، وخير لك في عاقبتك .

الدرس الرابع والثلاثون

تعريف اللفظة وعلمها

أخرج البخاري في صحيحه عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه أن النبي ﷺ سأله رجل عن اللفظة فقال : اعرف وكاءها أو قال : وعاءها وعفاصها ثم عرفها سنة ثم استمتع بها فان جاء ربه فأدبها اليه . قال فضالة الأبل : ففضب حتى احمرت وجنتاه ، أو قال : احمر وجهه فقال : مالك ولها معها سقاؤها وحذاؤها ترد الماء وترعى الشجر فذرها حتى يلقاها ربه ، قال فضالة الغنم : قال : لك أو لأخيك أو للذئب .

* * *

سأل رجل النبي ﷺ عن اللفظة وحكمها ، وما يترتب على واجدها أن يفعله ، وقد لضمن سؤال السائل حكم ثلاثة أشياء .

اللفظة في اللغة بضم اللام وفتح القاف وقد تسكن . الشيء الملقوط . وفي الشرع ما وجد من حق ضائع محترم غير محرز ولا يعرف الواجد مستحقه . وقيل هو ما ضاع بسقوط أو غفلة . والوكاء بكسر الواو ما يربط به رأس الصرة والكيس وغيرها ، أو هو الخيط الذي يشد به الوعاء . والوعاء بكسر الواو الظرف . والمفاص : الوعاء أيضاً لأن المفص هو الشيء والمطف ، والوعاء يثنى وينمطف على ما فيه . والمراد الشيء الذي تكون فيه النفقة من خرقة وجلدة ونحوها ، وقيل هو الجلد الذي يلبس رأس القازورة . والمراد بالذئب كل حيوان مفترس . والسقاء بكسر السين ، وعاء الماء ، والمراد به هنا جوفها التي تشرب فيه الماء فتكتفي به إياما وحذاؤها : خفها الذي نمشي فيه . وربها : صاحبها .

١ - اللقطة : وقد بين النبي ﷺ حكمها بأنه يجب على ملتقطها التعرف لصفاتها، وتبيين علاماتها ، بما يميزها عن غيرها من وعاءها وجنسها ونوعها ورباطها وأنها مكيلة أو موزونة وما أشبهه من العلامات الفارقة ليتحقق صدق من يدعيها فيعطيها له ، أو كذبه فيمنعها منه . ويجب عليه أيضاً المحافظة عليها كما يحافظ على ماله ، وعدم التفريط بها ولا يمتبرها فريسة أو غنيمة سيقت اليه فيتلغها أو يستهلكها في مطامعه وشهواته ، أو طرق غيه وملذاته ، كأنها ملك له أحرزه من كسبه وجده ، أو حق ورثه عن أبيه وجده ، وعليه أن ينشر نبأها ويذيع خبرها بين الناس بمختلف الوسائل والطرق وذلك كأن يعرفها على أبواب المساجد ، وعقب الصلوات ، وفي الأندية والمجتمعات ، وفي مكان يظن صاحبها فيه أو يبلغه خبرها . ومدة التعريف سنة كما أمر به النبي ﷺ السائل ، وإنما يعرف سنة ماعلت قيمته ، وعز فقده ، وأما الحقير الثافه وهو ما يظن أن فاقده لا يكثر أسفه ، ولا يطول طلبه له فيعرفه زمنا يظن أن فاقده يمدل عنه ، ويختلف ذلك باختلاف المال المفقود ، والتعريف على الصفة التي ذكرناها واجب فإن تركه اثم ، فإن ظهر مالها بعد التعريف أداها له وإلا ملكها فإن عاد صاحبها ضمنها له وإن شاء باعها وحفظ ثمنها .

وإن كانت اللقطة مما يتغير ويسارع اليه الفساد كالطعام مثلا فيخير ملتقطه بين اكله متملكا له ويغرم قيمته وبين بيعه ويعرفه بعد بيعه لتملك ثمنه بعد التعريف فإن ظهر مالها أعطاه قيمته إن أكله ، أو ثمنه إن باعه ، وهذا إن وجدته في غير حرم مكة ، أما في حرم مكة فإلتقطها للحفاظ لا للتملك . ويجب تعريفها لخبر الصحيحين عنه ﷺ أنه قال : (إن هذا البلد حرمه الله لا يلتقط لقطته الا من عرفها) يعني على الدوام وإلا فسائر البلاد كذلك . والحكمة في ذلك أن الله تعالى جعله مثابة للناس وأمنأ يعودون اليه فربما يعود مالها او يبعث في طلبها . ويلزم الملتقط الإقامة لتعريفها او يدفعها الى الحاكم بخلاف حرم المدينة فليس له هذا الحكم . أو أن يجدها مع لقيط مشدودة في ثيابه أو منشورة فوقه أو تحته أو في

جيبه أو مهده الذي للسقط لأن له بدأ واختصاصاً كالكلف . أما إذا كانت بجنبه أو مدفونة تحته بمحل لم يحكم بملكه له فلقطة ، نعم إن حكم بأن الأرض له كدار هو فيها مثلاً فهي له تبعاً . وعلى الملتقط ردها للمالك متى وصف أوصافها المعتبرة شرعاً ولا يشترط أن يقيم البينة .

٢ — ضالة الابل : وقد أجاب النبي ﷺ السائل بقوله : (مالك ومالها) أي ما صنع بها فهي قوية بنفسها ، ممتنمة لعظم جثتها وضخامة جسمها فلا تنالها الوحوش والسباع بأذى ومعها (سقاؤها) فلا ينتابها العواش أو يدركها الظلمة (وحذاؤها) يعني خفيها وذلك كناية عن جلادتها وقوتها وقطعها الأسفار الشاقة ، والمسافات البعيدة ، وعنفها طويل ترعى الشجر وما في طريقها من عشب وكلاء فهي مستغنية عن الملتقط . وخاصة أن بقاءها حيث ضلت يسهل على صاحبها العثور عليها . وإنما غضب النبي ﷺ من سؤال السائل عن ضالة الابل استقصاراً لسوء فهمه حيث لم يراع المعنى المذكور وقاس الشيء على غير نظيره . ويؤخذ أيضاً حل التقاطها بالحفظ صيانة لها عن الخونة لا للملك ، وقيس بها ما في معناها مما يمتنع بقوته كفرس أو بمدو كأرنب وظبي أو بطيران كحمام فحكمه ضالة الابل .

٣ — ضالة الغنم : وبين النبي ﷺ حكمها بقوله : (هي لك أو لأخيك أو للذئب) وكأنه عليه السلام يقول هي ضعيفة لا تمتنع نفسها من السباع والوحوش ، فهي مترددة بين أن تأخذها أنت ، أو يحظى بها ملتقط آخر فيحميمها ، أو هي فريسة للذئب . ويؤخذ من الحديث الحث على التقاطها وأخذها صيانة لها من الخونة ، وحفظاً لها من الوحوش ، وعلى الملتقط أن يعرفها فإن وجد صاحبها أداها إليه ، وإلا كان له أن يأخذها فإن تلفت غرم بدلها الشرعي .

وإنما أوردنا هذا الحديث لأن كثيراً من الناس يجهلون أحكام اللقطة وكثيراً منهم من يراها غنيمة باردة يتساهل في أمرها ، ويتملكها بدون جواز شرعي .

صلاة الجماعة وعلمها وثوابها

أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال: صلاة الجميع تزيد على صلاته في بيته ، وصلاته في سوقه خمساً وعشرين درجة ، فإن أحدكم إذا توضأ فأحسن الوضوء وأتى المسجد لا يريد إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعه الله بها درجة ، وحط عنه خطيئة حتى يدخل المسجد ، فإذا دخل المسجد كان في صلاة ما كانت تحبسه ، وتصلى الملائكة عليه مادام في مجلسه الذي يصلي فيه اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه ما لم يحدث فيه .

شرع الله صلاة الجماعة في المساجد وأكد حضورها للجماعة المكلفين من المسلمين ، لمنافع كثيرة ، وفوائد جمة ، وحكم وأسرار عالية ، يبرز حصرها واستقصائها . فمن ذلك أن شهودها في مصلى المسلمين ، تأييد للقلوب وجمع للشينات وتوحيد للصقوف على عبادة إله واحد ، في أكبر دعامة من دعائم الدين وأعظم شميرة من شعائر المؤمنين ، مطهرة للقلوب مهذبة للنفوس حافزة للهمم ، مقوية للعزائم ، مربية للنشاط معاملة للنظام مرقية للشعور ، منمية للمحبة بين المصلين ، موصلة إلى رجاء الثواب وتعلق الآمال ، بالله الكبير المتعال . فتتساوى جموعهم ، وتزكوا نفوسهم وترى كيف سوى الله في موقف الصلاة بين الغني والفقير ، والعظيم والحقير ، والسيد والمسود ، والملك والصلوك ، فتجد الغني الواسع الثروة ، الكبير الجاه ، صاحب

الخدم والحشم ، والقصور الفخمة والأبنية الشاهقة ، والأموال الطائلة ، والنعم المستفيضة واقفاً وبجانبه بائس فقير ، ووضع حقير ، لا يملك قوت نفسه في يومه فضلاً عن قوت عياله كل يناجي ربه ، ويطلب منه الهداية والتوفيق ، والاعانة والسادد لأقوم طريق . فاذا شاهد ذلك النفسى أو العظيم ، احتقر نفسه وقلت دعواه ، وعظم ابتهاه وتذلل بين يدي من ربه ، وعلم أنه وذلك الفقير عبيد لله ، إن شاء رحمهم بفضله ، وإن شاء عذبهم بمدله ، فتهذب الأخلاق وتتوثق عرى الاخاء والمودة بين الناس ، فيعمر الكون ويشيد ، ويستتب الأمن ويقوى الأمل من جديد . وفيها يتعلمون الدين من الامام بطريق عملي واضح ، أو نظري بما يتحفظهم به من النصائح والارشاد عقب الصلوات فتعلموا مداركهم ، وتتوسع معارفهم ، وتشحذ همهم ، ويكثر النفع وتعظم النتائج والثمرات . وفيها يتيسر الاتصال بجماعة المسلمين فيتفقد شؤونهم ، ويتعرف أحوالهم فان كان فيهم بائس عانوه ، أو فقير واسوه ، أو مقطوع وصلوه ، أو مريض عادوه ، أو ميت شيعوه ، أو أمر هام يتعلق بمصلحة المسلمين أجمعوا عليه .

وفيها التدريب على مواقف الحرب تحت امرة قائد واحد ، إن حدث خطب أو ألت بالمسلمين نازلة . وبالجملة فهي مؤتمر من مؤتمرات المسلمين النافعة المتكررة خمس مرات في اليوم والليلة ليتداول المسلمون فيها أمورهم وما يعود عليهم بالنفع العميم ، والخير الجسيم في دينهم ودنياهم .

فجذا لو حافظ المسلمون على شعائر دينهم وقواعد قرآنهم اذا لسادوا وعزوا كما ساد آباؤهم وعز أجدادهم . ولذا أكد النبي ﷺ طلبها وعظم ثوابها ، وتوعد من تخلف عنها ، ففي حديث أبي هريرة عند الشيخين وغيرها أن رسول الله ﷺ قال : والذي نفسي بيده لقد هممت ان آمر بحطب فيحطب ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها ، ثم آمر رجلاً فيؤم الناس ، ثم اخالف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم ،

والذي نفسي بيده لو يعلم أحسدهم أنه يجد عرقاً (١) سميماً أو مرماتين حسنتين لشهد العشاء .

وفي هذا الحديث وعيد شديد للمتخلفين عن صلاة الجماعة المهملين لها ، المتشاغبين عنها وعن إجابة داعي الله ونائبه بقوله : حي على الصلاة . حي على الفلاح . وأنه عليه السلام هم بتحريق بيوتهم ولعمل المانع له وجود أطفال ونساء ، وشيوخ وعجزة ممن لا ذنب لهم ولا تبعة عليهم .

ولهذا ذهب الامام أحمد وجماعة من العلماء إلى أن صلاة الجماعة فرض عين بل بالغ داود بن علي الظاهري وأتباعه فلشروطوا الجماعة لصحة الصلاة بناء على أن ما وجب في العبادة كان شرطاً فيها . وذهب الشافعية أنها فرض كفاية اذا قام بها جماعة بحيث يظهر الشعار في القرية سقطت عن الباقيين ووافقهم كثير من الحنفية والمالكية ، وعند الآخرين سنة مؤكدة ولذا ورد في بيان فضلها أحاديث كثيرة كخبر الصحيحين صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة . ولا يخالف بين هذه الرواية ورواية خمس وعشرين كما في حديثنا الذي تعرضنا لمرجه لأن ذلك يختلف باختلاف أحوال المصلين . أو أن النبي ﷺ أخبر أولاً بالقليل ثم أخبره الله بزيادة الفضل والثواب وعلو الدرجات . وفي حديث أبي داود وغيره وصححه ابن حبان وغيره (مامن ثلاثة في قرية أو بدو لا تقام فيهم الصلاة الا استحوذ عليهم الشيطان) . وقال تعالى : (فلتقم طائفة منهم معك) امر بها سبحانه في الخوف الشديد عند احتدام النزاع ومقابلة العدو فمن باب أولى أن يأمر بها في السلم والأمان .

(١) العرق : العظم إذا أخذ عنه معظم اللحم ويقال : عرقت العظم واعترقته وتعرقته اذا أخذت عنه اللحم بأسنانتك . وقال الأصمعي : العرق قطعة لحم ، والمرامة ظلف الشاة . وقيل : ما بين ظلفيها من اللحم ، وتطلق المرامة على سهم صغير غير محدد يتعلم به الرمي وهو أنحس السهام وأدناها .

بسم الله يحرم عليها وأن لا يفوتها إلا لعذر شرعي كمرض ونحوه حتى
يكون في عداد من قال الله فيهم : (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله
 وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ليجزيهم الله
 أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب) فأجب نداء الله
 وهروا إلى بيته ، وسارع إلى شهود الخيرات وإقامة الجماعات ، واغتنم الأعمال
 الصالحات . فهي عمالك المجدي ، وتجارنك الراجحة ، وإيمانك البين .

الدرس السادس والثلاثون

اليمين الفاجرة

أخرج البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : من حلف على يمين بقتطع بها مال امرئ مسلم هو عليها فاجر اتى الله وهو عليه غضبان فأنزل الله عز وجل (إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً) . الآية فجاء الأشعث فقال ما يحدثكم أبو عبد الرحمن في أنزلت هذه الآية كانت لي بئر في أرض ابن عم لي فقال لي شهودك ، قلت : مالي شهود قال : فيمينه قلت يا رسول الله اذا يحلف : فذكر النبي ﷺ هذا الحديث فأنزل الله عز وجل ذلك تصديقاً له .

* * *

الكذب صفة رذيلة بنقيضة إلى الله تعالى وهو من صفات المنافقين وعلاماتهم الدالة عليهم والميزة لهم عن المؤمنين ، كما تقدم معنا في موضعه وأثر أنواع الكذب ما يؤكد صاحبه بالإيمان الغليظة واليهود والمواتيق على صحة قوله وصدق دعواه ، وهو في نفسه كاذب ، وفي أيمانه فاجر ، وفي دعواه مزور ، وقد أقدم على الاستهانة باسم الله العظيم ، وصفاته الكريمة ، ومن كان كذلك وصفه فحق على الله أن لا يكلمه يوم القيامة ولا ينظر إليه نظر قبول وإحسان ، وعطاف ورحمة ، بل نظر بمد وطرد ، وغضب ومقت ، وله عذاب اليم وخزي كبير وطار فاضح على رؤوس الأشهاد في الدنيا والآخرة ، ولا يقدم على هذا العمل البغيض إلى الله من كان يؤمن به وباليوم الآخر ويرجو ثوابه ويخاف عقابه ، بل يقدم

عليه من لم يخاطب الايمان قلبه ، والدين لبه ، وفقد الضمير الحي ، والوجدان الصحيح فلم يبال بما قال ، ولم يكثر بما عمل ، واليك ما جاء في وعيده مما سنبينه في شرح هذا الحديث .

يقول النبي ﷺ : (من حلف على يمين) ولفظة على هنا زائدة أو بمعنى الباء (بقطع بها) أي بسبب اليمين (مال امرئ مسلم) والتقيد بمسلم جرى على الغالب والا فلا فرق بين الذي والمأهد والمسلم وغيره كما قيد عليه السلام بمال ، والواقع أنه لا فرق بين المال وغيره . وفي رواية إسقاط لفظة مسلم (هو عليها فاجر) يعني كاذب (لقي الله) يوم القيامة (وهو عليه غضبان) لسوء فعله وقبح عمله . وعند أبي داود من حديث عمران فليتبوا مقعده من النار (فأنزله الله عز وجل) تصديقاً لقول نبيه ﷺ قوله : (إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً الآية) وتتمتها (أولئك لاخلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ولا يزكهم ولهم عذاب أليم) . وكم في هذه الآية من وعيد شديد ، وتحذير وتخويف من حلف الايمان انفاجرة ، واقامة الدعاوي الكاذبة ، والتدليل عليها بما لا يجوز قوله وعمله في الشرع والدين . وكفى أن الله سبحانه ذكر في وصف هؤلاء قوله (أولئك لاخلاق لهم) وهذا غاية ما يقال في الامتهان والحقارة ، والتنفير والتوبيخ (فجاء الاشعث) بن قيس الكندي من مكانه الذي كان فيه إلى الجاس الذي كان عبد الله بن مسعود يحدث فيه (فقال : ما يحدثكم أبو عبد الرحمن) فحدثوه حديثه فقال : (في أنزلت هذه الآية كانت لي بئر في أرض ابن عم لي) اسمه معدان بن الاسود بن معدي الكندي (فقال لي) رسول الله ﷺ (شهودك) أي أحضر أو أقم شهودك على حقاك وصدق قولك (قلت مالي شهود : قال) النبي ﷺ : (فيمينه) لانعدام البينة ، وفي حديث ابن عباس أن النبي ﷺ قال : لو يعطى الناس بدعواهم لادعى رجال أموال قوم ودمائهم لكن البينة على المدعي

واليمين على من أنكر . (قلت يا رسول الله اذا يحلف فذكر النبي ﷺ هذا الحديث فأنزل الله عز وجل ذلك تصديقاً له .

ويؤخذ من هذا أن القاضي يفتني له أن يقدم مقدمة يعرف بها المتخاصمين عن حق اليمين وما يترتب عليه إن كان كاذباً في دعواه من إثم كبير ووبال عظيم ، وبلاء محقق . والمسلم العاقل من لا يسلك طريق الباطل والحيل ، ولا يأكل الإثم وإن قضت له به الحكام ، وكيف يأخذه ويتهجم عليه وهو كما قال النبي ﷺ في حديث أم سلمة : (فمن قضيت له بحق مسلم فأنما هي قطعة من النار فليأخذها أو ليتركها) .



الدرس السابع والثلاثون

العدل بين الاولاد

أخرج البخاري في صحيحه عن النعمان بن بشير رضى الله عنها قال : أعطاني أبي عطية فقالت عمرة بنت رواحة لا أرضى حتى تشهد رسول الله ﷺ ، فأتى رسول الله ﷺ فقال : اني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطية فأمرتني أن أشهدك يا رسول الله ، قال : أعطيت سائر ولدك مثل هذا ، قال : لا فقال النبي ﷺ : فاتقوا الله واعدلوا بين اولادكم قال : فرجع فرد عطيته .

العدل أساس كبير ، وعامل عظيم في توطيد الأمن ، وسيادة الطمأنينة والاستقرار ، والهدوء والسلام والمحبة بين أفراد الأسرة الواحدة ، والامم الكثيرة المتباينة ، ومن امن النظر وقلب الفكر في نظام هذا الكون وعجائبه ، وبدائمه وغرائبه ، وسرح النظر في الامم السالفة ، والقرون النابرة ، ادركته العبرة ، وعلم علم اليقين أنه ما من ملك تبنت أركانه واستقرت دعائه ، وكتب له البقاء إلا على أساس العدل في الاحكام بين الرعية ، وما سلك قوم منهج الظلم والجور إلا كان ما لهم الانهيار والسقوط ولو بعد حين من الزمن . ومن تتبع سيرة الفاتحين من المسلمين في صدر الاسلام ، وعهد الخلفاء الراشدين وأبي المجيب في عدلهم ، وحسن سيرتهم ومعاملتهم للامم المغلوبة ، فلما تم فتح الحيرة في خلافة ابي بكر الصديق رضى الله عنه اهداه اهلها هدية مختارين قبلها وعددها من الجزية عدلا منه وخشية ان يظلم اهل ذمته ، ومن تأمل في وصية ابي بكر لاسامة حين ارسله ومن معه من أفراد

الجيش الى مشارف الشام حيث قتل ابوه زيد بن حارثة وبعض اصحابه في مؤتة .
يتجلى له واضحا ما كان عليه افراد المسلمين من حب للعدل والسلام . واليك ما
اوصى به ابو بكر لرئيس الجند ومن معه عند وداعه لهم فقال : (لا تخونوا ولا
تقلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلا صغيراً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة
ولا تغدروا ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا
شاة ولا بقرة ، ولا بميراً الا لئلا تاكله ، وسوف تمرّون باقوام قد فرغوا انفسهم
في الصوامع فدعوهم وما فرغوا انفسهم له ، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم
بآنية فيها الوان الطعام فاذا اكلتم منها شيئاً بعد شيء (فاذكروا اسم الله عليها)
إلى آخر ما قال في هذه الوصية القيمة التي توضح شيئاً مما كان عليه المسلمون في
عهدم الزاهر من حب للعدل وتوخ له ، وهذا غيض من فيض بل قليل من كثير
يعرفه من تتبع سيرهم ، ووقف على اخبارهم .

ويبين لنا سيدنا رسول الله ﷺ ضرورة توخي العدل بين الاولاد في القسم
والمطاء وترك التفاضل بينهم . فاذا وجد التفاضل كان سبباً في العقوق والشحناء
والتنافر والبغضاء بين الولد ووالده ، وبين الاخ واخوانه مما يؤدي الى المواقب
الوخيمة ، والنتائج السيئة ، ولذا قال النبي ﷺ : لبشير والد النعمان عندما طلب
ان يشهده على تملكه النعمان ما عزم على إعطائه له من العطية فقال له النبي ﷺ
(اعطيت سائر ولدك مثل هذا) الذي اعطيته النعمان (قال : لا فقال النبي ﷺ :
فاتقوا الله واعدلوا بين اولادكم ، قال : فرجع) بشير من عند النبي عليه السلام
فاسته (رد عطيته) التي كان اعطاها ولده النعمان . وفي رواية ابن حبان والطبراني
عن الشعبي ان النبي ﷺ قال : لبشير عندما طلب ان يشهده (لا أشهد على جور)
وزاد مسلم في رواية (أشهد على هذا غيري) قاله عليه السلام : على سبيل التنفير
من العمل الجائر ، وبما تقدم من هذا الحديث تمسك به الامام احمد في وجوب
العدل في عطية الاولاد وان إشار احدم حرام وظلم . واجاب بعض العلماء بان

الجور معناه هو الميل عن الاعتدال والمكروه ايضاً جور .

وحمل الامر على الوجوب طاوس والثوري كأحمد ، وحمل الجمهور الامر على الندب ، والنهي على التزيه فيكره للوالد وإن علا أن يهب لاحد ولديه أكثر من الآخر ولو ذكراً ثلاثاً يقضي ذلك الى العقوق ، نعم إن تفاوتوا حاجة فلا بأس بالترتيب وإذ ارتكب التفضيل المذكور فالأولى ان يعطي بقية اولاده ما يحصل به العدل ، ويؤخذ من الحديث جواز الرجوع عند التفضيل بل حكي في البحر استحبابه قال الأسنوي ويتجه ان يكون محل جوازه او استحبابه في الزائد ، وعن احمد رحمه الله يجب الرجوع . وعنه يجوز التفاضل إن كان له سبب كأن يحتاج الولد لزمانته او دينه او نحو ذلك دون الباقي ، وقال ابو يوسف تجب النسوية إن قصد بالترتيب الاضرار .

فعلى الوالد ان يكون فطناً عاقلاً حكيماً في امره مدركاً في تصرفه ان لا يسبب الشقاق والنزاع بين اعضاء الاسرة الواحدة ، وتبعة ما يحدث بينه وبين اولاده أو بينهم وبين اخيهم المفضل عليهم عليه لانه النبي التصرف والمبتغى الجور ، فليقتن لذلك الآباء والامهات وليحذروا ان يتسببوا بالعقوق لانفسهم ، والتنازع بين اولادهم فهم المسئولون عن ذلك بين يدي احكم الحاكمين .



النهي عن الظلم والامر بمعاونة الاخوان

في الدين والسر عليهم

أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، ومن كان في حاجة اخيه ، كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة ، فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة .

* * *

بذكر النبي ﷺ في هذا الحديث أموراً منها ما ذكره بقوله : (المسلم اخو المسلم) والمراد باخوة الاسلام توثق عرى المحبة والاخاء بين افراد المسلمين ، كتوثقها وتمكنها بين الاخوة من النسب ، ومن مقتضى الاخوة في الدين او النسب انه لا يظلم اخاه ولا يسلمه ، ويسمى لتفريج ما نزل به من كرب ، وما حل به من ضم وما انتابه من م وغم وعسر وضيق ، ولا يسمى لهتك سره والتشهير به ، ومحل ذلك اذا كان من ذوي الهيئات ومحرم ممن ليس معروفاً بالفجور والفسق ، وهذا فيستر معصية وقعت وانقضت ، إما اذا علم معصيته وهو متلبس بها فتجب المبادرة بالانكار عليه ، ومنه منها فان عجز لزمه رفعها الى ولي الامر إن لم يترتب على ذلك مفسدة ، والمعروف بذلك لا يستر عليه لان الستر عليه بطعمه في الفساد ويحرمه على انتهاك الحرمات ، واسترساله في طرق القوابة والضلالات ، بل الاولى ان يرفعه الى ولي الامر ان لم يخف من ذلك مفسدة وليس ما ذكرناه من النية المحرمة بل

من التصبيحة الواجبة في الدين ، ثم بين عليه السلام في وصف المسلم لآخيه المسلم بأنه (لا يظلمه ولا يسهه) والمراد بالظلم انتقاص حقه في نفسه او ماله او عرضه والظلم بسائر انواعه محرم وفيه يقول النبي ﷺ : الظلم ظلمات يوم القيامة رواه البخاري وغيره واخرج الطبراني عن اوس بن شرحبيل ان النبي ﷺ قال : من مضى مع ظالم وهو يعلم انه ظالم فقد خرج من الاسلام ، يعني من كاله ، وفي هذا وعيد شديد لأعوان الظلمة وسهلي مصالحهم . وموطدي طرفهم الدالين لهم على عورات الناس والمسلمين ، ولهذا امرنا النبي ﷺ بنصرة المظلوم والاخذ على يد الظالم وكفه عن ظلمه ومنعه عن جوره ، ففي حديث البخاري عن انس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : (انصر اخاك ظالماً او مظلوماً) ، قالوا يا رسول الله : هذا ننصره مظلوماً فكيف ننصره ظالماً قال : تأخذ فوق يديه ، وهو كناية عن منعه عن الظلم بالفعل كالاستمانة عليه بمراجعة الحكام ، حيث لم يؤثر فيه التصح باللسان وضروب الكلام ، وليست نصرة الاخ ظالماً او مظلوماً كما يفهمها الجاهلون حمية وعصبية بل كما فرها رسول الله ﷺ من نصرة المظلوم وإعانتة ، والسمي لرفع ظلامته ، والضرب على يد الظالم وكفه عن ظلمه فذلك نصرة له على شيطانه الذي يغويه ، وعلى نفسه الشريرة التي تأمره بالفحشاء وتطفيه ، واثن استرسل في ظلمه وفساده ، وغيه وعناده ، آداه ذلك الى أن يقتص منه ويوقع العذاب به فتتمك له عن ظلمه نصرة له ، وماتع من تنفيذ الاحكام والحدود به في الدنيا ورفع العذاب عنه في الآخرة ، والماتل من يتحلل من المظالم في دنياه قبل أخراه ولا بدع حقاً لا أحد في نفسه من عباد الله ، بل يسارع لأداء ما بذمته ويطلب المغفرة والمساحة ، قبل ان يقف ذلك الموقف الرهيب في يوم عصيب . (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) وفي حديث أبي هريرة عند مسلم لتؤذن الحقوق الى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجالحاء من الشاة القرناء ، وليعلم أن انواع الظلم كثيرة بمن احصاؤها ويتعذر استقصاؤها . فمن الظلم منع

حق الله من ماله ، واضاعة الفقير بمنع الزكاة بحرمانه وحرمان عياله ، ومنه ظلم الاخ أخته بمنعها من ارثها المفروض لها ، واكل حقها بغير رضاها واذنها ، ومنه التعدي على الناس والبطش بهم وتبع عوراتهم ، والتعريض بكراماتهم في المجالس والأندية بالبارات الوقحة والالفاظ الذميمة ، ومنه ظلم اليتيم بأكل ماله وتضييع ثروته وافساد حاله ، ومنه غش الناس في بيعه وشرائه ، والتعدي على جاره في زرعه ومائه أو داره وعقاره ، والنبي ﷺ يقول : من ظلم من الارض شيئاً طوقه من سبع أرضين ، فرحم الله عبداً ترفع عن هذه المظالم الوحشية ، وزه نفسه عن هذه القبائح الشائنة .

والمراد بقوله عليه السلام (ولا يسلمه) بأن لا يخذله ولا يتركه لعدوه ينكل به وينتقم منه ، بل المسلم من ينصر أخاه المسلم ويحميه من أعدائه ومبغضيه مما يحمي منه نفسه ، ويدفع عنه الأذى والضرر ، ويسعى له بالخير والبر ، ويفرج كربه ، ويواسيه في بؤسه ، ويستتر عورته وعيبه ، على ما بيناه فبذلك يستحق أن ينظر الله تعالى إليه يوم القيامة بالمطاف والحنان ، والرأفة والاحسان ، فيتجاوز عن زلاته ، ويمفو عن خطيئاته ، ويتحفه بالجنة التي وعدها المتقون ، وليعلم أن رجاء المظلوم محقق ودعائه مجاب فعني الحديث (واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب) .

وبمثل هذه الاعمال الجليلة الآفة الذكر يقوم الدين ، وتقوى روابطه ويتم التعاون بين المسلمين امثالاً لأمر الله بقوله : (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الأثم والعدوان) . وقد جمع هذا الحديث من قواعد الدين وآدابه الشيء الكثير ، فيجدر بالمسلمين التمسك بأهدابيه ، والنهج على غراره ، واقتفاء آثاره .

الدرس التاسع والثلاثون

عذر المؤمن وفطنته

أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين .

* * *

من أوصاف المؤمن الخذر والفطنة ، والحزم والشدة ، واللين والرحمة ؛ في مواضعها ، فلا يؤتى من ناحية الغفلة فيخدع مرة بعد أخرى ؛ بل من تكررت خديعته في أمر واحد من ناحية واحدة فذلك مثبت لغفلة ، مؤكداً لبلاغته . وحسبك أن نبينا محمد ﷺ وهو سيد العلماء وإمام الرحماء ، هو الناطق بهذه الحكمة العالية والنار لهذه الدررة الغالية ، وسببها أنه عليه السلام ظفر وهم في حراء الأسد بأبي عزة الشاعر الذي من عليه يوم بدر بعد أن تعهد للنبي عليه السلام أن لا يناصب المسلمين المدا ، ولا يحرض عليهم الأعداء . فلم يبر بقوله ، ولم يوف بوعده . بل نقض العهد وخلف الميثاق وما أبرم من الاتفاق ، فأمر عليه السلام بقتله : فقال يا محمد أقتلي وامن علي ودعني لبناي وأعطيك عهداً ألا أعود لمثل ما فعلت فقال عليه السلام لا والله ، لا تمسح طارضيك بمكة وتقول خدعت محمداً مرتين . لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين . لإضرب عنقه يا زيد فضرب عنقه .

وفي هذا درس عظيم من السيد الحكيم ﷺ لأفراد المسلمين ، ومن يأتي من القاتمين ، فإن الرجل الذي لا يجترز مما أصيب منه ولا يفتن لما وقع فيه ليس بأقل . والعاقل من يعتبر بحوادث الدهر وتقلبات الأيام ووقائع الزمن ، ولا يقتصر

النهي عن الغفلة على أمر الدين فحسب بل يع أمر الدنيا وهو أولاهما بالحذر .
(ووجه النهي على هذا أنه ﷺ لما رأى من نفسه الزكية الكريمة الميل الى الحلم
والعفو عنه جرد منها مؤمناً كاملاً حازماً ذا شهامة ونهاة عن ذلك ، يعني ليس من
شيعة المؤمن الحازم الذي يغضب لله ، ويذب عن دين الله تعالى أن ينخدع لمثل هذا
الغادر المتمرد مرة أخرى . فأنته عن حديث الحلم وامض اسانك في الانتقام منه
والانتصار من عدو الله تعالى فان مقام الغضب لله تعالى بأبي الحلم والعفو ، ومن
اوصافه ﷺ أنه كان لا يستقم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله تعالى فينتقم لها . وقد
ظهر من هذا ان الحلم مطلقاً غير محمود كما أن الغلظة كذلك بل الاول مندوب اليه
مع الأولياء والثاني مع الأعداء . قال تعالى في وصف الصحابة رضي الله عنهم :
(أشداء على الكفار رحماء بينهم) ذكر هذا المعنى شيخ الاسلام السرقاوي . وأما
كونه خبر فبرفع يلدغ والمعنى ليكن المؤمن حازماً فطناً الخ . وأصل هذا الكلام
كما ذكر العلماء أن رجلاً أدخل يده في حجر الصيد أو غيره فلدغته حية في يده
ثم أدخلها فلدغته ، فضربته العرب مثلاً فقالوا : لا يدخل الرجل يده في حجر
فليدغ منه مرة ثانية . فأورده ﷺ بمعناه . لكن البون شاسع والفرق بعيد بين
كلامه ﷺ ولفظ المثل المذكور .

وبما تقدم يعلم أن المؤمن الكامل من يتعامل للأمر وينظن لدقاتها ، ولا
ينخدع لغيره فيهزأ به ويسخر منه بل يعتبر في الماضي ليحترس للحاضر والمستقبل
كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : لست بالحب ولا الخب ينخدعني .

فضل السلام وهكم والامر بافشاءه

أخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتوه تحاببتم ، أفشوا السلام بينكم .

* * *

السلام تحية المؤمنين ، وشعار الموحدين ، وداعية للاخاء والالفة بين المسلمين ، وهو تحية مباركة وصيغة طيبة ، كما ذكر سبحانه في القرآن الكريم قال تعالى : (فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة) . وقال تعالى : (لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها) ، والسلام كما ذكر الله تحية أهل الجنة في دار النعيم قال سبحانه : (وتحيتهم فيها سلام) وابتداء السلام سنة مستحبة وليس بواجب ، وهو سنة على الكفاية فان كان المسلم جماعة كفى عنهم تسليم واحد منهم ولو سلموا كلهم كان أفضل ، وأما رده فان كان المسلم عليه واحداً تعين عليه الرد وإن كانوا جماعة كان رد السلام فرض كفاية عليهم فان رد واحد منهم سقط الحرج عن الباقيين . وإن تركوه كلهم أمموا كلهم وإن ردوا كلهم فهو النهاية في الكمال . قال تعالى : (وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) والسلام تحية من كان قبلنا من الأنبياء وأتباعهم المؤمنين ، وتحية أيينا إبراهيم عليه السلام وضيئه الكرمين ، فيما قصه الله علينا في القرآن الكريم بقوله : (هل أتاك حديث إبراهيم المكرمين إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما

قال سلام) ومن السنة المحبوبة ، والآداب المطلوبة ، أن يبدأ المسلم بالسلام قبل كل كلام ؛ والابتداء بالسلام أفضل لقوله ﷺ في الحديث الصحيح : وخيرهما الذي يبدأ بالسلام . فينبغي لكل واحد من المتلاقيين أن يحرص على بدء صاحبه بالسلام إحرازاً لفضيلة البدء . وبين النبي ﷺ الأحق ببدء السلام في حديث البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال . يسلم الصغير على الكبير ، والمر على القاعد ، والقليل على الكثير . وعنه في رواية أخرى قال : قال رسول الله ﷺ : يسلم الراكب على الماشي ، والماشي على القاعد ، والقليل على الكثير . وإنما يسلم الصغير على الكبير تعظيماً له وتوقيراً لسنة . ومحل ذلك إن التقيا مع التساوي في الركوب وعدمه ، فإن كان أحدهما ماشياً والآخر راكباً بدأ الراكب ، بخلاف ما لو كانا متساويين كأن كانا راكبين أو ماشيين فالصغير أحق بالبدء . وحكمة بدء المر بالسلام على القاعد لأن الغرض منه تألف القلوب وإيقاع المحبة والمودة بين المسلم والمسلم عليه ، ومراعاة لوضع المر فإنه أتم حالاً من القاعد فكان البدء من جهته أولى ، ولما فيه من اظهار التواضع لآخيه المسلم في حال علوه ورفعته ، ونبذ الكبر المقوت والترفع الذميم ، ويسلم القليل على الكثير لأن حق الكثير أعظم ، أو خشية أن يداخل الكبر القليل عند سلام الكثير عليهم ، ويسلم الراكب على الماشي لأن السلام شرع لازالة الخوف من المتقين إذا التقيا ، ولأنه وارد والسلام تحية الوارد ، أو لنفي الكبر عن الراكب فإنه ارفع فوجب الماشي بالسلام ، ولو تلاقى راكبان أو ماشيان اعتبر احسنهما حالاً للبدء بالسلام ، فإن تساوا فخيرهما من يبدأ صاحبه . وكما سننا السلام عند الابتداء أو الدخول فهو سنة عند مفارقة المجلس ومفارقة الجمع في سنن أبي داود والترمذي وغيرهما عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : إذا انتهى احدكم إلى المجلس فليسلم فإذا اراد ان يقوم فليسلم فليست الاولى بأحق من الآخرة .

والسلام كما قدمنا تحية المؤمنين وشعارهم فلا تبدأ أهل الكتاب أو الذممة به

ففي حديث أبي هريرة عن مسلم أن رسول الله ﷺ قال : (لا تبسّدوا اليهود ولا
النصارى بالسلام) ، وإذا بدؤونا به أجبتنا كما في حديث الشيخين عن أنس قال :
قال رسول الله ﷺ : إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم . واختار جماعة
من العلماء جواز بدئنا لهم والله أعلم .

ولا يسلم على صاحب البدعة ، ومن اقرّب ذنباً عظيماً ولم يقب منه ، ولا يرد
عليهم السلام زجراً للبتدع عن بدعته ، والمذنب عن ذنبه ، وقال عبد الله بن عمر
ولا تسلموا على شرية الحر . وأما من اضطر للسلام على الظالم وأهل الجور ، (وخشي
إن لم يسلم ترتب مفسدة أو قتلة في دينه أو دنياه سلم عليهم ويؤي بالسلام أنه اسم
من أسماء تعالى والمعنى الله عليكم رقيب .

وقد جاء في فضل السلام وانفائه أحاديث كثيرة فمن ذلك ما رواه البخاري
عن عبد الله بن عمر أن رجلاً سأل النبي ﷺ : أي الإسلام خير . قال : تطم
الطعام ، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف . فلا ينبغي أن تخص من تعرف
ابتناء الكبر والألفة فرعاً أعمت عن من لم تعرف فيكون ممن تعرف ويكون سبباً
للوحشة وسوء التفاهم ، فبذلك لأخوانك المؤمنين من غير تمييز أفرادهم فهو شعيرة
من شعائر الدين .

وأما إذا مشى في الأسواق والشوارع المطروقة ، والواضع التي يكثر فيها
الملاقاة ، فذكر العلماء ومنهم من أفضى القضاة الماوردي أن السلام هنا إنما يكون
لبعض الناس دون بعض ، قال لأنه لو سلم على كل من لقي لشاغل به عن كل مهم
وتخرج به عن العرف ومأنوف العادات والتعارف حكيم في أمره فيبني حمله على ما ذكر .

وفي الحديث الذي أوردناه بقية شرحه وإيضاحه رب النبي ﷺ أموراً
متسلسلة يتبع بعضها بعضاً فهو يقول : (لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا) فالشرك وهو
عدم الإيمان ، مانع من دخول الجنان ، وبدل على ذلك آيات كثيرة من كتاب الله .
قال تعالى : (إن الله لا يفرق أن يشرك به) وقال أيضاً : (إنه من يشرك بالله فقد

حرم الله عليه الجنة ومأواه النار) ، وفي الآية الكريمة (ومن بآته مؤمنا قد عمل
 الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى جنات عدن) ، والإيمان صفة حاجزة لصاحبها
 عن الوقوع في الشهوات ، واسترساله في المحظورات ، فالإيمان الكامل مانع لصاحبه
 عما لا يحل تعاطيه في الشرع . وأما من تلتطخ بالأعمال السيئة ، والأفعال الخبيثة
 فيدخل الجنة بعد أن يحاسب على عمله ، ويلاقي جزاء استهتاره . ثم ذكر النبي ﷺ
 أن الإيمان لا يتم ولا يبلغ درجة الكمال إلا بالتجانب فقال : (ولا تؤمنوا حتى
 تحابوا) والتجانب أمر حيوي للأسرة الواحدة والجماعات الكثيرة ، والأهم
 المتباعدة . فإذا ماتم بينها العلاقات الودية والتجانب المنشود رأيتهم يعيشون في جو
 هادئ ، وأمن ورخاء ، وسعادة وهناء ، فمن الأولى أن يتمشى المؤمنون على هذا
 النمط الجميل والقواعد الحسنة ، وقد حقق الله الأخوة بين أفراد المؤمنين فقال :
 (إنما المؤمنون أخوة) ومن لوازم الأخوة التجانب والتآلف ، ونبذ التناسك
 والتخالف ، ثم بين عليه السلام الطريق المؤدي إلى المحبة والأخاء فقال : (أولا
 أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم) وهذا طريق سهل لا
 صعوبة فيه ولا مشقة به ، فيجدر بالمسلم سلوكه والاعتناء بأمره والاهتمام بهديه ،
 عملا بارشاد السيد الحكيم ﷺ . وما يعقبه من فوائد محققة من وجود الألفة
 والمودة بين المسلمين . وأن لا يعدل به إلى نحية أخرى من تحيات المتفرنجين ، محافظة
 على تراثه القديم وأوامر دينه العظيم .

الدرس الحادي والاربعون

الترغيب بالزواج

اخرج البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : كنا مع النبي ﷺ فقال : من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه لو وجاء .

* * *

الزواج هو أهم مقومات الحياة ، والمتمم للوظائف الحيوية ، والحافظ للجامعة البشرية من الانقراض والذوال ، وأساس لتقدير المرء في الهيئة الاجتماعية وقوامه وجود الالفة والتحابب ، والاحترام والتوقير بين الزوجين ، وبه يحصل التعاون والتماض والتآلف والتآزر بين الاسر المتناسبة بسبب ما تم بينهما من المصاهرة المقربة للبعيد ، والمحبة للقريب والمدنية للأجنبي ، وقد نذب الله اليه بقوله : (ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا) ولذا خاطب السيد الحكيم ﷺ الشباب بدعوم الى الزواج والمبادرة له متى كان أحدهم قادراً على مؤن الزواج ونفقاته وكان به توفيق الى النساء حتى لا تقوده نفسه ، ويغريه شيطانه فيقع فيما لايجل من الموبقات ، والذنوب المهلكات . فيكون عاقبة ذلك ضياع الثروة وفقدان المال وشدة الفقر والعسر ، أضف الى ذلك ماينتاب الشاب

الباءة بالمد على الافصح لغة الجماع ، والمراد به هنا ذلك . وقيل : مؤن النكاح والقائل : بالاول وذه الى معنى الثاني اذ التقدير عنده من استطاع منكم الجماع لتقدرته على مؤن النكاح فليتزوج . وجاء بكسر الواو والمد أي قاطع لشهوته .

وهو في حداثة سنه ، ونضارة شبابه من الامراض والعلل والاسقام فيفقد لذة العيش الهنيء والحياة السعيدة السارة . وأن مما يؤسف له أشد الاسف ما نراه من انصراف الشبان وإعراضهم عن الزواج اعراضاً تاماً ظناً منهم بأن حياة العزوبة ألد واهناً ، وأهون حملاً وأخف كلفة من الزواج مع انهم مخطئون في عملهم ، شاذون في رأيهم ضالون عن طريق الحق ؛ تأهون عن جادة الصواب ؛ ولو ان هؤلاء فكروا قليلاً بمقولهم واستعرضوا الحوادث والوقائع لوصلوا الى نتيجة حاسمة هي تفضيل الحياة الزوجية على العزوبة لاسباب سنيين اهمها .

تأمل في حياة المتزوج عندما يفاجئه مرض ، او تنتابه نائبة كيف يكون محاطاً بمطاف زوجته ، وقيامها بخدمته ، نائماً على فراش الراحة والهناء ، محفوفاً باسباب الصحة والرفاهية ، وبجانبه قرينته تخفف آلامه وتقوم بخدمته وتضمر الخير له ، وارجع بنظرك الى العزب في حالة مرضه نراه في حالة يأس وقنوط وندم على ما فرط منه لعدم اقترانه بزوجة صالحة ، وقرينة ناصحة تكون له خير معينه وافضل مساعدة على نوائب الدهر وأنكاده ، ففقد العطف والراحة ، والرافة به والقيام بتمريضه وحوالجه الكثيرة في أشد الاوقات وأحرج الساعات .

ومن الاسباب الرئيسية أيضاً لاعراض الشبان عن الزواج ما شاع وذاع من تبذل الفتيات ، وخروجهن عن حد الآداب المرعية ، وسهولة اجتماع الشباب بهن ، ما رخص من قيمتهن ، وأبخسن من ثمنهن فأصبحت الفتاة في نظر الشاب مهينة بما يسرت من مغازلتها ، والاتصال بها ، واصبح الشاب لا يمسك في الاقتران بفتاة إلا اذا كانت ذات مال وعتار ، أو جاء ويسار ، فيقبل على الزواج منها ملتسماً ما بيدها من عرض الدنيا ومتاع الحياة غير مكترث بذات الدين ، وصاحبة الوجدان والقلب السليم ؛ واعرض عن نصيحة السيد الحكيم القائلة : (عليك بذات الدين تربت يداك) . فلم يدرك لها معنى ، ولم يفهم لها مغزى لما ارتكز في نفسه من حب المال المؤدي الى هيامه وخوضه في طرق الفساد والضلال ، ولم يعبأ بقوله تعالى :

(وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم) والنبي ﷺ يحض على التخزين للنطف بتخير ذوات العقل الراجع ، والسيرة الحسنة ، والدين الصحيح فهو يقول : (تخير والنطفكم فان العرق دساس) وقد غفل كثير من شبابنا عن هذه الوصايا الحكيمة والنصائح الثمينة . ومنها ما تعارفه الناس من نفقات العرس وغلاء المهور ، والتبذير السخيف في غير الطرق المشروعة مما يؤدي بالاغنياء الى فقدان الثروة وضياع المال ، وبالفقراء الى الانكفاف عن الزواج والاعراض عنه ، مما يهدد الجامعة الانسانية بالانقراض والزوال ، ويقلل النسل فتفقد الذرية ويسهل دخول الأعداء ، وتحكم الاجانب والاحصام فيجعل الوقع ، وبمعظم الخطب ، وتكثر الفتن ، فعلى اولياء الفتيات التنبيه لهذا الخطر الهائل ، والترفع عن المظاهر الفارغة ، والدعاوي الباطلة ، والتبذير المنهي عنه في القانون الالهي ، والقرآن الكريم بقوله : (ولا تبذر تبذيراً ان المبذرين كانوا إخوان الشياطين) فالعاقل من لا يفتربالزخارف ويخدع بالبهارج الكاذبة بل ينقاد لمقله الراجع ، ودينه الحق ، وعماليمه السامية .

ومن الشبان من يمتنع عن الزواج بعملة عدم وجود فتيات مثقفات يفهمن واجبات الزوجية والقيام بمحقوقها ، وأقول : إن هذا الامر اليوم أصبح العثور عليه سهلاً لوجود الفتيات المتعلمات . ومن الامور المحققة والمشاهدة أن العلم وحده بالطرق المتعارفة الآن هو السبب في غواية الفتاة وخروجها عن مألوف العادات والآداب ، وياحبذا لو سارع اولياؤها لتعليمها الواجبات الشرعية ، والاحكام الدينية ، والاخلاق الاسلامية مما يسبح حاجتها ، ويجدر بها معرفته من تنظيم البيت وتنسيقه ، وطهي الطعام وتهيئته ، والمساها بأصول النظافة والصحة لتربية اولادها وتعميرهم العادات المستحسنة ، والاخلاق الكريمة فهذا أجل ما يطلب منها في الحياة .

ثم علل النبي ﷺ نديه الشباب للزواج بقوله : (فانه أغص للبصر وأحصن للفرج) وفي الحديث من تزوج فقد حفظ نصف دينه ، ثم وصف عليه السلام الدواء الناجع لمن يفقد أهبة الزواج ونفقاته فأشار عليه بالصوم ، فانه يخفف من شهوته ، كاسر لحدته لما يعقبه من نقص في الدم والقوة الباعثين على الحرارة وطلب الجماع ، فتهداً حركته ، وتسكن حدته .

